

سلسلة كُنْ

كُنْ متواضعا

إعداد

صفاء رشاد

تحت إشراف

عاطف عبد الرشيد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّوَاضُّعُ صِفَةُ الْعُقَلَاءِ، فَالْمُتَوَاضِعُ هُوَ الَّذِي أَدْرَكَ قُدْرَ
نَفْسِهِ، وَمَدَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، فَذَلَّ لِلَّهِ تَوَاضِعًا..

وَالْتَوَاضُّعُ هُوَ التَّذَلُّلُ وَالْخُشُوعُ وَالْخُضُوعُ لِلَّهِ ﷻ، وَهُوَ
لَا يَعْزِي انْكِسَارَ الْمُؤْمِنِ لِغَيْرِهِ مِنْ أَهْلِ الْكُفْرِ، بَلْ تَذَلُّهُ لِلَّهِ
وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْ يَرْتَدَّ
مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ

أَعَزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤]. وَيَحُشُّنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى
التَّوَاضُّعِ قَائِلًا: "إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَفْخَرَ
أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ" [مسلم].

وَلِلْمُتَوَاضِعِ ثَوَابٌ كَبِيرٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَيْثُ أَنَّهُ لَا
يُشَارِكُ اللَّهُ ﷻ فِي صِفَةِ اخْتِصَّ ذَاتَهُ بِهَا. قَالَ ﷺ: "يَقُولُ اللَّهُ
جَلَّ وَعَلَا: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي فِي
وَاحِدٍ مِنْهَا أَلْقَيْتُهُ فِي النَّارِ" [ابن ماجه].

وَفِي هَذَا الْكِتَابِ نَتَعَرَّفُ عَلَى التَّوَاضُّعِ وَأَهْمِيَّتِهِ لِكُلِّ
إِنْسَانٍ.

كُنْ مُتَوَاضِعًا

إِنَّ الْمُسْلِمَ الْحَقِيقِيَّ يَتَخَلَّقُ بِالتَّوَاضِعِ، وَيَنْبِذُ الْكِبَرَ وَالْغُرُورَ
لأنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ الْمُسْلِمَ الْمُتَوَاضِعَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ وَحَبِيبٌ إِلَى النَّاسِ.

وَلِلتَّوَاضِعِ صُورٌ نَحْنُكَ عَلَى التَّخَلُّقِ بِهَا، وَهِيَ:

* كُنْ مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ.

* كُنْ مُتَوَاضِعًا مَعَ النَّاسِ.

كُنْ مُتَوَاضِعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ

التَّوَاضُعُ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ،
فَلَيْسَ مُسْلِمٌ مُكْتَمِلُ الْإِيمَانِ مَنْ لَا يَتَوَاضِعُ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ،
فِيؤْمِنُ بِاللَّهِ ﷻ، وَيَقْرَأُ بِرِسَالَاتِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ.

* كُنْ مُلْتَزِمًا بِخُلُقِ التَّوَاضِعِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ بِمَا يَلِي:

١ - طَاعَةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ: يَكُونُ تَوَاضُعُ الْمَرْءِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ
بِأَنْ يَكُونَ طَائِعًا يُلَبِّي كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ، وَيَتَّعِدُ عَنْ كُلِّ مَا نُهِى عَنْهُ
مَخَافَةً مِنَ اللَّهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ
تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

٢ - **عَدَمُ الْارْتِدَادِ عَنِ الدِّينِ** : الرَّدَّةُ عَنْ دِينِ اللَّهِ عِقَابُهَا عَذَابُ النَّارِ، فَلَيْسَ مُتَوَاضِعاً لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَنْ يَرْتَدُّ عَنِ الدِّينِ وَيَبْتَغِي غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا. قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤].

٣ - **عَدَمُ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ** : بَعَثَ اللَّهُ الرُّسُلَ هُدَاةً لِحَلْقِهِ، وَأَكْمَلَ اللَّهُ رِسَالَاتِهِ بِبَعْثِ نَبِيِّهِ الْخَاتَمِ (مُحَمَّدٍ ﷺ)، وَتَكْذِيبُ الرُّسُلِ أَمْرٌ مُحَرَّمٌ، يَدُلُّ عَلَى عَدَمِ تَوَاضُعِ الْمَرْءِ لِلَّهِ وَرُسُلِهِ، يَقُولُ تَعَالَى: ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة: ٨٧].

٤ - **عَدَمُ التَّكْبَرِ عَلَى اللَّهِ** : التَّكْبَرُ عَلَى اللَّهِ لَا يَفْعَلُهُ إِلَّا كُلُّ هَالِكٍ مَمْقُوتٍ مِنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ، فَقَدْ يَسْأَلُ سَائِلٌ: كَيْفَ يَكُونُ التَّكْبَرُ عَلَى اللَّهِ؟ وَنَقُولُ: إِنَّ التَّكْبَرُ عَلَى اللَّهِ يَكُونُ بِتَرْكِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَإِثْبَانِ مَا نَهَى عَنْهُ، فِي غَيْرِ مَخَافَةٍ مِنْ عِقَابِ اللَّهِ وَعَذَابِهِ، يُرَوَى عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "...وَمَنْ تَكَبَّرَ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللَّهُ بِهِ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ سَافِلِينَ" [ابن ماجه].

٥- **عَدَمُ الْخِيَلِ**: النَّفْسُ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ، فَهِيَ تَدْعُو صَاحِبَهَا إِلَى الْخِيَلِ وَالْاعْتِدَادِ بِذَاتِهِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى اللَّهِ، فَعَنِ ابْنِ عَمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: بَيْنَمَا رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، يَجْرُ إِزَارُهُ (ثَوْبُهُ) مِنَ الْخِيَلِ، خُسِفَ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ (يَغُوصُ) فِي الْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ [البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ].

٦ - **الاعترافُ بِقُدْرَةِ اللَّهِ**: عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُدْرِكَ أَنَّ الْقُوَّةَ وَالْقُدْرَةَ بِيَدِ اللَّهِ ﷻ، وَلَوْ نَظَرَ إِلَى نَفْسِهِ لَأَدْرَكَ ذَلِكَ، فَهُوَ مَهْمًا بَلَغَ مِنْ قُوَّةٍ يَضْعُفُ بِمُرُورِ الْوَقْتِ، حَيْثُ تَضَعُفُ عِظَامُهُ، وَتَقْلَصُ عِضَلَاتُهُ، وَيُصْبِحُ ضَعِيفًا، لَا قُدْرَةَ لَهُ وَلَا حِيلَةَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الرُّومُ: ٥٤].

٧ - **الاعتاضُ بِالمَوْتِ**: المَوْتُ فِي النَّاسِ خَيْرٌ وَاعِظٌ، فَكَمْ مِنْ قَرِيبٍ لَنَا أَخَذَهُ الْمَوْتُ فَجَاءَهُ، وَإِذَا وَقَفَ الْمُتَكَبِّرُ أَمَامَ حَقِيقَةِ الْمَوْتِ، لَأَدْرَكَ أَنَّهُ مَيِّتٌ لَا مَحَالَةَ فِي ذَلِكَ، فَهَلْ يَتَكَبَّرُ...؟! يَقُولُ الشَّاعِرُ:

أَتَيْتُ الْقُبُورَ فَنَادَيْتُهَا فَأَيْنَ الْمُعْظَمُ وَالْمُحْتَقَرُ؟
وَأَيْنَ الْمَذِلُّ بِسُلْطَانِهِ وَأَيْنَ الْعَزِيزُ إِذَا مَا افْتَحَرَ؟

*** ثَمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّوَاضُّعِ مَعَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ .**

١ - الرِّفْعَةُ : التَّوَاضُّعُ يَرْفَعُ دَرَجَةَ الْإِنْسَانِ عِنْدَ رَبِّهِ، فَكُلَّمَا زَادَ تَوَاضُّعًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ، كُلَّمَا أَزْدَادَ قَدْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَرَدَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَرْفُوعًا، قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "مَنْ تَوَاضَعَ لِي هَكَذَا (وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى الْأَرْضِ)، رَفَعْتُهُ هَكَذَا (وَجَعَلَ بَاطِنَ كَفِّهِ إِلَى السَّمَاءِ وَرَفَعَهَا نَحْوَ السَّمَاءِ)" [أحمد].

٢ - الْجَنَّةُ : التَّوَاضُّعُ يُدْخِلُ صَاحِبَهُ الْجَنَّةَ وَيَقِيهِ عَذَابَ النَّارِ، فَعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ مَاتَ وَهُوَ بَرِيءٌ مِنَ الْكِبْرِ وَالْعُلُولِ وَالذِّينِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" [الترمذي].

٣ - أَعْلَى الدَّرَجَاتِ : التَّوَاضُّعُ يَرْفَعُ اللَّهَ تَعَالَى دَرَجَتَهُ، وَيَحِطُّ خَطِيئَتَهُ، حَتَّى يَكُونَ سَعِيدًا؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، رَفَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ تَكَبَّرَ وَضَعَهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أَحَبَّهُ اللَّهُ" [ابن ماجه].

٤ - مَعَ الرَّحْمَنِ : التَّوَاضُّعُ يُقَرِّبُ الْعَبْدَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَيَجْعَلُهُ رَاضِيًا عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾

[الفرقان: ٦٣]. فَمَنْ تَوَاضَعَ لِلَّهِ، نَالَ شَرَفَ الْقُرْبِ مِنْهُ، فَيَكُونُ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

كُنْ مُتَوَاضِعًا مَعَ النَّاسِ

إِنَّ التَّوَاضُعَ لِلنَّاسِ جُزْءٌ مِنْ تَوَاضُعِ الْمَرْءِ لِرَبِّهِ، فَقَدْ أَمَرَنَا اللَّهُ بِحُسْنِ مُعَامَلَةِ النَّاسِ، وَالتَّوَاضُعِ لَهُمْ، وَعَدَمِ التَّكَبُّرِ عَلَيْهِمْ.

* كُنْ مُلتَزِمًا بِخُلُقِ التَّوَاضُعِ مَعَ النَّاسِ بِمَا يَلِي :

١ - حُسْنُ مُعَامَلَتِهِمْ : مُعَامَلَةُ النَّاسِ بِرِفْقٍ وَلِينٍ دَلِيلٌ عَلَى التَّوَاضُعِ لَهُمْ، وَذَلِكَ بِأَنْ يُعَامَلَ النَّاسُ بِمِثْلِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُعَامِلُوهُ بِهِ، فَيُحْسِنُ مُخَاطَبَتَهُمْ، وَيَتَسَامَحُ مَعَهُمْ.

الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ وَالصَّبِيَّانُ الْمَسَاكِينُ : يُحْكِي أَنَّ الْحَسَنَ

ابْنَ عَلِيٍّ عليه السلام مَرَّ فِي يَوْمٍ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ الصَّبِيَّانِ الْمَسَاكِينِ، الَّذِينَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ، فَوَجَدَهُمْ جَالِسِينَ عَلَى الْأَرْضِ يَأْكُلُونَ لُقِيْمَاتٍ مِنَ الْعَيْشِ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَرَدُّوا السَّلَامَ، وَدَعَوْهُ أَنْ يَأْكُلَ مَعَهُمْ فَنَزَلَ عَنْ بَعْلَتِهِ، وَقَالَ: نَعَمْ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُتَكَبِّرِينَ، ثُمَّ جَلَسَ مَعَهُمْ، وَأَكَلَ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَبَعْدَ أَنْ انْتَهَوْا مِنَ الطَّعَامِ، قَامَ الْحَسَنُ وَأَخَذَهُمْ عَلَى دَابَّتِهِ، ثُمَّ

أَطْعَمَهُمْ فِي مَنْزِلِهِ، وَكَسَاهُمْ (أَعْطَاهُمْ ثِيَابًا). وَلَمَّا سُئِلَ الْحَسَنُ عَنْ سَبَبِ إِطْعَامِهِمْ وَكَسْوَتِهِمْ قَالَ: الْفَضْلُ لَهُمْ، لِأَنَّهُمْ لَمْ يَجِدُوا مَعَهُمْ غَيْرَ قِطْعِ الْخُبْزِ الَّذِي أَطْعَمُونِي، وَلَكِنِّي أَجِدُ كَثِيرًا مِمَّا أُعْطِيَتْهُمْ، فَيَجِبُ أَنْ أَقَابِلَ الْحَسَنَةَ بِمِثْلِهَا وَأُحْسِنَ.

تَوَاضِعُ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ: كَانَ الصَّحَابِيُّ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رضي الله عنه أَمِيرًا عَلَى الْمَدَائِنِ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ مَعَهُ حَمْلٌ، وَكَانَ سَلْمَانُ يَرْتَدِي سَرَائِلَ عَجَمِيَّةٍ، وَكَانَ الرَّجُلُ الشَّامِيُّ لَا يَعْرِفُ سَلْمَانَ، فَقَالَ الرَّجُلُ لِسَلْمَانَ: تَعَالَ احْمِلْ. وَكَانَ يَحْسِبُهُ حَمَلًا، فَحَمَلَ سَلْمَانُ، فَلَمَّا رَأَاهُ النَّاسُ عَرَفُوهُ، فَقَالُوا: هَذَا الْأَمِيرُ! فَقَالَ الرَّجُلُ: لَمْ أَعْرِفْكَ. وَأَرَادَ أَنْ يَرْفَعَ الْحَمْلَ عَنْهُ، فَرَفَضَ سَلْمَانُ، وَقَالَ: لَا.. حَتَّى أَبْلُغَ (أَصِلَ) مَنْزِلَكَ، قَدْ نَوَيْتُ نِيَّةً، فَلَا أَضَعُهُ حَتَّى أَبْلُغَ مَنْزِلَكَ. [السلوك الاجتماعي: ٧١].

عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَالْجَارِيَّةُ: حَكَى النَّضِيرُ بْنُ سَهْلٍ عَنْ أَبِيهِ، فَقَالَ: قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِجَارِيَّتِهِ يَوْمًا: رَوِّحِي بِالْمَرْوَحَةِ حَتَّى أَنَامَ، فَرَوَّحَتْهُ فَنَامَ، وَبَيْنَمَا هِيَ تُرَوِّحُهُ غَلَبَهَا النَّوْمُ، فَنَامَتْ، فَلَمَّا انْتَبَهَ عُمَرُ وَجَدَهَا نَائِمَةً، فَأَخَذَ الْمَرْوَحَةَ وَجَعَلَ يُرَوِّحُهَا، فَلَمَّا قَامَتْ مِنْ نَوْمِهَا، وَرَأَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يُرَوِّحُهَا، خَجَلَتْ وَخَافَتْ، فَقَالَ لَهَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ: لَا

تَخَافِي، إِنَّمَا أَنْتِ بَشَرٌ مِثْلِي، أَصَابَكَ مِنَ الْحَرِّ مَا أَصَابَنِي،
فَأَحْبَبْتُ أَنْ أَرَوْحَكَ كَمَا رَوَّحْتَنِي. [أحسن القصص: ٢٥٦].

الْمَأْمُونُ وَيَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: عَنِ الْقَاضِي يَحْيَى بْنِ أَكْثَمَ
قَالَ: بَتُّ لَيْلَةٍ عِنْدَ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ، وَفِي جَوْفِ اللَّيْلِ قُمْتُ
لَأَشْرَبَ مَاءً، فَرَأَنِي الْمَأْمُونُ، فَقَالَ: مَا لَكَ يَا يَحْيَى؟ فَقُلْتُ:
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَا وَاللَّهِ عَطْشَانُ. قَالَ: ارْجِعْ إِلَى مَوْضِعِكَ.
فَقَامَ - وَاللَّهِ - وَحَمَلَ الْمَاءَ فَجَاءَنِي بِكَوْزِ مَاءٍ، وَقَامَ عَلَى
رَأْسِي، فَقَالَ: اشْرَبْ يَا يَحْيَى. فَقُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، هَلَا
وَصِيفًا أَوْ وَصِيفَاتٍ (أَلَيْسَ هُنَاكَ خَادِمٌ أَوْ جَارِيَاتٌ). قَالَ: إِنَّهُمْ
نِيَامٌ. قُلْتُ: كُنْتُ أَنَا أَقُومُ لِلشُّرْبِ. فَقَالَ: لَوْمْ بِالرَّجُلِ أَنْ
يَسْتَخْدِمَ ضَيْفَهُ [السمير المذهب: ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤].

٢ - دَفْعُ الْكِبَرِ وَرَفْضُهُ: الْمُسْلِمُ لَا يُنْصِتُ لِنِدَاءِ التَّكْبُرِ
وَالْتَّعَالِي وَإِنَّمَا يَدْفَعُ الْكِبَرَ وَيَرْفُضُهُ.

عمرُ بنُ الخطابِ يَدْفَعُ الْكِبَرَ: وَرَدَّ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَادَى: الصَّلَاةُ جَامِعَةٌ.. فَلَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ، صَعَدَ الْمُنْبَرَ،
فَحَمِدَ اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا
النَّاسُ، مَا يَسِّرُنِي لَقَدْ رَأَيْتُنِي أَرْعَى عَلَى خَالَاتٍ لِي مِنْ بَنِي
مَخْزُومٍ، فَيُقْبِضُ لِي الْقَبْضَةُ مِنَ التَّمْرِ فَأُظْلَى الْيَوْمَ.. فَقَالَ لَهُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ: وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا زِدْتَ عَلَى أَنْ قَصَرْتَ بِنَفْسِكَ. فَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: وَيَحْكُ يَا بْنَ عَوْفٍ، إِنِّي خَلَوْتُ فَحَدَّثَنِي نَفْسِي، فَقَالَتْ: أَنْتَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَمَنْ ذَا أَفْضَلُ مِنْكَ؟ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعْرِفَهَا نَفْسَهَا. [السمير المذهب جـ ٢ ص ١٨ - ١٩].

٣ - تَقَبُّلُ النَّصِيحَةِ: مِنْ تَوَاضُعِ الْمَرْءِ لِلنَّاسِ أَنْ يَتَقَبَّلَ نُصَحَهُمْ لَهُ وَلَا يَرْفُضَ ذَلِكَ. يُحْكِي أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه: اتَّقِ اللَّهَ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَتَقُولُ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ اتَّقِ اللَّهَ؟! فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: دَعُهُ فَلْيَقُلْهَا لِي، نَعَمْ مَا قَالَ، لَا خَيْرَ فِيكُمْ إِذَا لَمْ تَقُولُوهَا، وَلَا خَيْرَ فِينَا إِذَا لَمْ تَقْبَلُوهَا.

نَصِيحَةُ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمٍ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: يُرَوَى أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رضي الله عنه مَرَّ عَلَى الْمَعْلَى بْنِ الْجَارُودِ، فَلَقِيَتْهُ امْرَأَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَتْ لَهُ: يَا عُمَرُ، فَوَقَفَ لَهَا فَقَالَتْ: كُنَّا نَعْرِفُكَ مَرَّةً عُمَيْرًا، ثُمَّ صِرْتَ عُمَرَ بَعْدَ عُمَيْرٍ (تَقْصِدُ عِنْدَمَا كَانَ صَغِيرًا)، ثُمَّ صِرْتَ بَعْدَ عُمَرَ أَمِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ، فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَانْظُرْ فِي أُمُورِنَا، فَإِنَّهُ مَنْ خَافَ الْوَعِيدَ، قَرُبَ عَلَيْهِ الْقَصِيدُ، وَمَنْ خَافَ الْمَوْتَ، خَشِيَ الْفَوْتَ. فَقَالَ لَهَا الْمَعْلَى: إِلَيْكَ يَا أُمَّةَ اللَّهِ (كَفَاكَ)، لَقَدْ أَبْكَيتِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ لَهُ

عُمَرُ: أَتَدْرِي مَنْ هَذِهِ؟ وَيَحْكُ، هَذِهِ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمِ النَّبِيِّ
سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَهَا مِنْ تَحْتِ سَمَائِهِ، فَعُمَرُ أُخْرَى (أَحَقُّ) أَنْ يَسْمَعَ
قَوْلَهَا وَيَقْتَدِيَ بِهَا. [السمير المذهب: ج ٢ ص ١٧].

٤ - تَوْقِيرُ وَاحْتِرَامُ الْآخَرِينَ: يَكُونُ الْمَرْءُ مُتَوَاضِعًا
لِلنَّاسِ كُلِّمَا اِزْدَادَ تَوْقِيرُهُمْ لَهُ.

قِصَّةُ وَلَدِي هَارُونَ الرَّشِيدِ مَعَ الْمُعَلِّمِ: يُرْوَى أَنَّ
الْكَسَائِيَّ مُعَلِّمَ ابْنِي هَارُونَ الرَّشِيدِ (وهما الأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ)،
بَعْدَ أَنْ انْتَهَى ذَاتَ يَوْمٍ مِنْ إِقَاءِ دُرُوسِهِ عَلَيْهِمَا، أَرَادَ أَنْ
يَنْصَرِفَ، فَتَنَازَعَ الْأَمِينُ وَالْمَأْمُونُ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَا نَعْلَهُ لَهُ،
وَانْتَهَى الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يُقَدِّمَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدَةً مِنْ نَعْلِهِ،
فَلَمَّا وَصَلَ هَذَا الْخَبْرُ إِلَى الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ، أَرْسَلَ إِلَى
الْكَسَائِيَّ لِمُقَابَلَتِهِ، وَعِنْدَمَا حَضَرَ إِلَيْهِ سَأَلَهُ: مَنْ أَعَزُّ النَّاسِ؟
قَالَ: لَا أَعْلَمُ أَعَزُّ مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: بَلَى: إِنَّ أَعَزَّ النَّاسِ
مَنْ إِذَا نَهَضَ تَقَاتَلَ عَلَى تَقْدِيمِ نَعْلَيْهِ وَلِيًّا عَهْدِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى
يَرْضَى كُلُّ مِنْهُمَا أَنْ يُقَدِّمَ لَهُ فُرْدَةً مِنْهَا.

فَأَخَذَ الْكَسَائِيُّ يُعْتَذِرُ خَشْيَةً أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ، فَقَالَ
الرَّشِيدُ: لَوْ مَنَعْتُهُمَا عَنْ ذَلِكَ لَأَوْجَعْتُكَ لَوْمًا وَلَا لَزِمْتُكَ ذَنْبًا،
وَمَا وَضَعَ (قَلَّلَ) مَا فَعَلَا مِنْ شَرَفِهِمَا، بَلْ رَفَعَ مِنْ قَدَرِهِمَا،

وَبَيَّنَ جَوْهَرَهُمَا، وَلَقَدْ تَبَيَّنَتْ مَخِيلَةُ الْفَرَّاسَةِ بِفِعْلِهِمَا، فَلَيْسَ
يَكْبَرُ الْمَرْءُ وَإِنْ كَانَ كَبِيرًا عَنْ ثَلَاثٍ: تَوَاضَعَهُ لِسُلْطَانِهِ وَلِوَالِدَيْهِ
وَلِمُعَلِّمِهِ. ثُمَّ قَالَ هَارُونُ الرَّشِيدُ: لَقَدْ عَوَّضَتْهُمَا مِمَّا فَعَلَا
عَشْرِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَلَكَ عَشْرَةُ آلَافٍ دِرْهَمٍ عَلَى حُسْنِ
تَأْدِيكِ لَهُمَا، فَهَكَذَا يَكُونُ عَطَاءُ الْمُلُوكِ. [السمير المهبذ:
ج ٢ ص ٢٣ : ٢٢].

* ثِمَارُ التَّمَسُّكِ بِخُلُقِ التَّوَاضُّعِ مَعَ النَّاسِ :

١ - الرُّفْعَةُ مِنَ اللَّهِ: يَرْفَعُ اللَّهُ الْمُتَوَاضِعَ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ، فَيَجْعَلُهُ مَرْفُوعًا عِنْدَ النَّاسِ، لِأَنَّهُ وَضَعَ نَفْسَهُ
أَمَامَهُمْ، وَلَمْ يَتَكَبَّرْ عَلَيْهِمْ، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَنْ تَوَاضَعَ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ رَفَعَهُ اللَّهُ" [الطبراني].

٢ - أَفْضَلُ الْعِبَادَاتِ: التَّوَاضُّعُ خُلُقٌ كَرِيمٌ، وَهُوَ مِنْ
أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ، تَقُولُ السَّيِّدَةُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إِنَّكُمْ
لَتَعْفُونَ عَنْ أَفْضَلِ الْعِبَادَاتِ التَّوَاضُّعُ.

٣- أَفْضَلُ الرِّجَالِ: الْمُتَوَاضِعُ أَرْفَعُ النَّاسِ قَدْرًا، وَأَعْظَمُهُمْ
مَنْزِلَةً، سِئِلَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ: أَيُّ الرِّجَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ:
مَنْ تَوَاضَعَ عَنْ قَدْرِهِ، وَزَهَدَ عَنْ رَغْبَةٍ، وَتَرَكَ النُّصْرَةَ (أَيَّ أَنْ
يَنْتَصِرَ لِنَفْسِهِ) عَنْ قُوَّةٍ.

٤ - رَفْعُ الْبَلَاءِ : مِنْ فَضْلِ التَّوَاضُّعِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرْفَعُ بِهِ
الْبَلَاءَ عَنِ الْمُتَوَاضِعِينَ، بَلْ قَدْ يَرْفَعُ اللَّهُ الْعَذَابَ عَنِ النَّاسِ
جَمِيعًا إِكْرَامًا لِلْمُتَوَاضِعِينَ، يُرَوَى عَنْ مُوسَى بْنِ الْقَاسِمِ أَنَّهُ
قَالَ: كَانَتْ عِنْدَنَا زَلْزَلَةٌ (زَلْزَالٌ) وَرِيحٌ حَمْرَاءُ، فَذَهَبْتُ إِلَى
مُحَمَّدَ بْنِ مُقَاتِلٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، أَنْتَ إِمَامُنَا، فَادْعُ اللَّهَ
- عَزَّ وَجَلَّ - لَنَا أَنْ يَذْهَبَ هَذَا الْبَلَاءُ. فَبَكَى مُحَمَّدُ بْنُ مُقَاتِلٍ،
ثُمَّ قَالَ لِي: لَيْتَنِي لَمْ أَكُنْ سَبَبَ هَلَاكِكُمْ. ثُمَّ رَفَعَ اللَّهُ الْبَلَاءَ عَنَّا.
فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَ عَنْكُمُ الْبَلَاءَ
بِدُعَاءِ مُحَمَّدِ بْنِ مُقَاتِلٍ.

لَا تَكُنْ مُتَكَبِّرًا

الْكِبَرُ هُوَ عُجْبٌ بِالنَّفْسِ وَزَهُوٌّ بِهَا، وَهُوَ فِي حَقِّ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كُفْرٌ، وَفِي حَقِّ الرُّسُلِ جُحُودٌ، وَفِي حَقِّ النَّاسِ
وَالْمَخْلُوقَاتِ سُوءُ مُعَامَلَةٍ.

١ - مُتَكَبِّرُونَ عَنِ الْعِبَادَةِ : هُنَاكَ مَنْ يَتَكَبَّرُونَ عَلَى
رَبِّهِمْ، فَيَهْمِلُونَ عِبَادَتَهُ، وَلَا يُؤَدُّونَ حَقَّ اللَّهِ ﷻ، قَالَ تَعَالَى:
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾
[غافر: ٦٠].

٢ - عِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى : تَكَبَّرَ فِرْعَوْنُ وَعَلَا فِي الْأَرْضِ ، فَكَانَ جَزَاؤُهُ أَنْ أُغْرِقَهُ اللَّهُ ، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً لِّمَن يَعْتَبِرُ وَيَخْشَى رَبَّهُ . قَالَ تَعَالَى : ﴿ فَحَشَرَ فَنَادَى ﴿٢٤﴾ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى ﴿٢٥﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَى ﴾ [النَّازِعَات : ٢٦ : ٢٣] .

٣ - بِئْسَ الْمَصِيرُ : الْكِبَرُ تَجَرُّؤٌ عَلَى اللَّهِ ، لِذَلِكَ تَوَعَّدَ اللَّهُ الْمُتَكَبِّرِينَ بِسُوءِ الْعَاقِبَةِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فِئْسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ [غَافِر : ٧٦] .

إِمَامُ الْمُتَكَبِّرِينَ : يُعَدُّ إِبْلِيسُ إِمَامَ الْمُتَكَبِّرِينَ بِعُصْيَانِهِ لِرَبِّهِ ، فَلَعَنَهُ اللَّهُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (يَوْمِ الْقِيَامَةِ) ، يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الحجر : ٣٥ : ٣٤] .

اعْرِفْ نَفْسَكَ

صَارِحُ نَفْسِكَ فِي تَحْدِيدِ مَا إِذَا كُنْتَ مُتَوَاضِعًا أَمْ مُتَكَبِّرًا بِالْإِجَابَةِ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ :

١ - هَلْ أَنْتَ مُتَوَاضِعٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؟

- ٢ - إِذَا كَانَ مِنْ أَصْدِقَائِكَ مَنْ يَتْرُكُ الصَّلَاةَ، فَبِمَ تَنْصَحُهُ؟
- ٣ - الْمَوْتُ ضِدُّ الْكِبَرِ (وَضَحَّ ذَلِكَ)؟
- ٤ - مَاذَا تُفِيدُ قِصَّةَ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ مَعَ الصَّبَّانِ الْمَسَاكِينِ؟
- ٥ - مَنْ هُوَ الْأَمِيرُ الَّذِي ظَنَّهُ أَحَدُ النَّاسِ حَمَلًا فَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَحْمِلَ حَاجَاتِهِ فَلَبَّى تَوَاضَعًا مِنْهُ؟
- ٦ - اذْكُرْ مَوْقِفًا يُشِيرُ إِلَى تَوَاضُعِ الْخَلِيفَةِ الْمَأْمُونِ؟
- ٧ - هَلْ تَقْبَلُ النَّصِيحَةَ؟
- ٨ - كَانَ فِرْعَوْنُ مُتَكَبِّرًا، فَكَيْفَ كَانَ جَزَاؤُهُ؟
- ٩ - اذْكُرْ مِثَالًا تُوضِّحُ بِهِ تَوَاضُعَ وَلَدَي هَارُونَ الرَّشِيدِ (الْأَمِينِ وَالْمَأْمُونِ) لِمُعَلِّمِهِمَا؟
- ١٠ - مَنْ هُوَ إِمَامُ الْمُتَكَبِّرِينَ؟ وَكَيْفَ كَانَ جَزَاؤُهُ؟

*** ** *